مجلة الرائد

العدد : ٢١٥ الموافق في شعبان ١٤٢٠ هجري ١ / ٢٠٠٠ ميلادي

| عنوان المقال : خاطرة في التربية | بقلم : أ. متولي موسى |
| --- | --- |

# التناقض في سلوك الوالدين وأثره السيء

لا شك أن دور الوالدين عامة والأم خاصة في تربية الأبناء له نصيب الأسد ، ولذلك يؤكد علماء التربية على أن التربية بالقدوة هي أهم وسائل التربية الناجحة ، ولا توجد قدوة من غير استقامة وبُعد التناقض ، وسوف تعالج هذه الخاطرة على عجل هذا الموضوع على النحو الآتي :

**أولاً : النواقض والتناقض لغة وشرعاً**

في معاجم اللغة ؛ نقض الشيء : أفسده بعد إحكامه . فيقال : نقض البناء : هدمه . ونقض الغزل أو الحبل : حل طاقاته . وفي التنزيل: { **ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ...** } [ النحل : ٩٢ ] . ونقض اليمين أو العهد : نكثه . وفي التنزيل: { .. **ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها** } [ النحل :٩١] .وقال تعالى{ **الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون** } [ البقرة: ٢٧] . ونقض ما أبرمه : أي أبطله . ويقال في كلامه تناقض ؛ أي إن بعضه يقتضي إبطال بعض .

ولقد ذم الله تعالى هذا السلوك في حياة بني إسرائيل فقال تعالى : { **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** } [ البقرة : ٤٤ ] . كما عظم الله تعالى جرم من يسلك هذا السلوك من المؤمنين فقال عزَّ وجلَّ : { **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ✵ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** } [ الصف : ٢-٣ ] .

ومن ذلك يتبين أن على الوالدين وكل مربٍ إذا أراد أن يكون قدوة تربوية ، بأن يلتزم الإسلام ويستقيم على الإيمان ، فلا يكون متناقضاً ، إذ أن العقل يحث صاحبه أن يكون أول فاعل لما يأمر به ، وأول تارك لما ينهى عنه ، فمن أمر غيره بالخير ولم يفعله ، أو نهاه عن الشر ولم يتركه ، دل على عدم عقله وجهله ، خصوصاً إذا كان عالماً بذلك ، فقد قامت عليه الحجة .

**ثانياً : سبيل المربين إلى عدم التناقض**

عن سفيان بن عبد الله ﵁ قال : قلت : يا رسول الله ! قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك ، قال : « قل : آمنت بالله ، ثم استقم » (رواه مسلم وغيره) . فقد طلب ﵁ من النبي ﷺ أن يعلمه

كلاماً جامعاً لأمر الإسلام كافياً ، حتى لا يحتاج بعده إلى غيره ، فأجابه القدوة ومعلم الناس الخير ﷺ قائلاً : « قل : آمنت بالله ، ثم استقم » . وفي رواية أخرى - صحيحة - « قل : ربي الله ، ثم استقم » . وما دل عليه الحديث متضمن في قوله تعالى : { **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون** } [ فصلت : ٣٠ ] وقوله سبحانه : { **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۞ أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون** } [ الأحقاف: ١٣-١٤ ]

ومما يعين على سلوك سبيل الاستقامة على الإيمان ، الإيمان بالغيب وما يتفرع عنه من جلائل الأعمال ، فإذا تدبر كل صاحب لب قول الله تعالى : { **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ۞ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ۞ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون** } [ البقرة :٣-٥ ] . لعلم أن الإيمان بالغيب هو الذي ينشيء في قلب المؤمن رقيباً - بسبب خشية الله تعالى - ، وهذا الرقيب هو الذي يوجه أعمال القلب والجوارح خوفاً من الله عزَّ وجلَّ ، فالخشية هي خلاصة الإيمان والعلم ، مصداق قول الله سبحانه : { **... إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ ...** } [ فاطر : ٢٨ ] .

يقول الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره " القول في تأويل قوله تعالى : { **الذين يؤمنون بالغيب** } ، وأشبه بصفة القوم : أن يكونوا موصوفين بالتصديق بالغيب ، قولاً واعتقاداً وعملاً ، إذ كان جلَّ ثناؤه لم يحصرهم من معنى الإيمان على معنى دون معنى ، بل أجمل وصفهم به من غير خصوص شيء من معانيه أخرج من صفتهم بخبر أو عقل " (١)

والإيمان بالغيب بالمعنى الذي ذكره الطبري ، هو الذي يتوافق مع الاستقامة وعدم تناقض السلوك ، إذ أن المؤمن يصدر عن عهد الله تعالى الذي أخذه على عباده في عالم الذر فلا ينقضه ، فضلاً عن أن الإيمان -عند أهل السنة والجماعة- يدخل في مسماه الأعمال الصالحة . وتدبر أمر الله تعالى للقدوة ﷺ ومن تاب معه ، في قوله عزَّ وجلَّ : { **فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير** } [ هود :١١٢ ] . فقد أمر سبحانه النبي ﷺ ومن تاب معه ألا يجاوزوا ما شرع الله تعالى ، إذ ذلك طغيان ، وأخبر سبحانه أنه بصير بأعمالهم ، مطلع عليهم ، وقال عزَّ من قائل في موضع آخر : { **فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ...** } [ الشورى : ١٥ ] .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أصل الاستقامة استقامة القلب على توحيد الله تعالى ، وإخلاص العبودية

له ، فمتى استقام القلب على معرفة الله تعالى ، وحبه عزَّ وجلَّ وإجلاله والخضوع له وحده ، والتوكل عليه والإعراض عما سواه ، استقامت الجوارح كلها على طاعنه سبحانه ، فقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ : « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » ( جزء من حديث رواه البخاري ومسلم ) .

وأعظم ما يُراعى استقامته بعد القلب من الجوارح هو اللسان ، فإنه ترجمان القلب والمعبر عنه ، وقد قررت أحاديث كثيرة تبين هذه الحقيقة ، منها « المسلم ، من سلم المسلمون من لسانه ويده » ( رواه البخاري ) ، وقول الرسول ﷺ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت** »

**ثالثاً : النواقض والتناقض وآثار ذلك التربوية**

لاشك أن الحديث عن النواقض وآثارها باب واسع ، ولا يمكن في مقال قصير التفصيل في هذا الشأن ، فالحديث عن نواقض الوضوء مشهور في كتب الفقه ، أما الحديث عن نواقض الإيمان فهو نادر رغم خطورته ، ويظهر ذلك من نصوص القرآن والسنة ، فقد حذر الله تعالى من أسباب ذلك فقال تعالى : { ... **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** } [ البقرة : ٢١٧ ] .

ولما كان التمسك بالوحي هو سبيل الاستقامة على الإيمان والنجاة من التناقض في القول والسلوك ، بتحقيق العبودية لله تعالى ، أخبر الله تعالى ذوي الألباب بما ينبغي عليهم أن يصنعوا فقال عزَّ وجلَّ : { **قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون * ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين** } [ الزمر : ٦٤-٦٦ ] . وقد بين رسول الله ﷺ ذلك بقوله : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ( البخاري ومسلم ) ، وفي رواية لمسلم : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » . ومن ذلك - وسواه - يتأكد أن عمل المربين وخاصة الوالدين لا بد أن يكون مقيداً بشرع الله تعالى ، وقول النبي ﷺ : « ليس عليه أمرنا » إشارة إلى أن أعمال العاملين كلهم ينبغي أن تكون تحت أحكام الشريعة ، وتكون أحكام الشريعة حاكمة عليها بأمرها ونهيها ، فمن كان عمله جارياً وفق أحكام الشرع ، فهو مقبول ، ومن كان خارجاً عن ذلك فهو مردود .

ولقد أنزل الله تعالى القرآن روحاً يحيي ، ونوراً يهدي ، وصراطاً مستقيماً للسالكين ، فقال سبحانه : { **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ❁ صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور** } [ الشورى : ٥٢-٥٣ ] . والقرآن الكريم هو الكتاب الخاتم ، الذي أنزله الله تعالى للتمسك به فقال تعالى : { **فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم ❁ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون** } [ الزخرف : ٤٣-٤٤ ] ، وهو الذي يصوغ أخلاق من يعمل به بصبغة الله تعالى ، فيكون صاحب الخلق العظيم ، وهذا الذي دلت عليه النصوص في قول الله تعالى واصفاً رسوله الأمين : { **وإنك لعلى خلق عظيم** } [ القلم : ٤ ] ، وهو الذي أخبرت به عائشة رضي الله عنها بقولها عن رسول الله ﷺ : « كان خلقه القرآن » ( رواه مسلم في صحيحه ) ، وبوصف القرآن آخر الكتب ، فهو الذي يجب على الإنس والجن اتباعه وتحكيمه ، لأن الله تعالى بعث خاتم الأنبياء والمرسلين للثقلين ، وأنزل عليه القرآن تبياناً لكل شيء ، وشفاء لما في الصدور ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ، قال الله تعالى فيه : { **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** } [ النحل : ٨٩ ] .

فمجرد التصديق بالقرآن لا يكفي ، إذ لا بد مع التصديق من العمل بما جاء فيه من الأحكام ، قال تعالى : { **المص ❁ كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ❁ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون** } [ الأعراف : ١-٣ ] وقد بشر الرسول ﷺ به فقال مخاطباً خير القرون - رضوان الله عليهم - :« أبشروا ، أبشروا ، أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟ قالوا : نعم ، قال : فإن هذا القرآن سببٌ طرفه بيد الله ، وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به ، فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً » [(٢)] .

ومن التناقض في حياة المربين أن يكونوا من القارئين للقرآن ، الذين لا يجاوز تراقيهم ، ويمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فقد ورد عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً ، أتاه ذو الخويصرة - وهو رجل من بني تميم - ، فقال : يا رسول الله إعدل . فقال : « ويلك ، ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ ، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل » فقال عمر ﷺ : يا رسول الله ! إئذن لي فيه فأضرب عنقه ؟ فقال : « دعه ، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم ، وصيامه إلى صيامهم ، يقرؤون القرآن لا يتجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق

السهم من الرمية ، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى نفيه - وهو قدحه - فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرث والدم » (رواه مسلم) . والحديث فيه دليل على أن طائفة من المسلمين تقرأ القرآن ولكنها تخرج من الدين بسرعة هائلة ، مثل لهذه السرعة بخروج السهم من الصيد قبل أن تنفجر العروق أو الأحشاء ، بحيث أن السهم لا يصيبه تلوث من دم أو فرث ، ولذلك قال : « قد سبق الفرث الدم » .

**الخلاصة** : النواقض والتناقض في حياة المربين عامة والوالدين خاصة ، لها آثارها السيئة في التربية ، وربما تكون سبباً في خروج المسلم من الدين فيحبط عمله ، وتلك هي الخسارة البينة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وللتدليل على ذلك بأمثلة بسيطة ربما تحدث يومياً ، فقد يقول الوالد لولده مثلاً الكذب حرام ، وإياك والكذب فإنه يؤدي بصاحبه إلى النار ، ثم يضرب جرس الهاتف فيقول الوالد لولده إن كان عمك فلان فقل له أبي مسافر !!! فإن مثل هذا السلوك يفقد الولد الثقة في معظم ما سمع من والده من المواعظ والإرشادات !!! أو أن تقول الأم لولدها الدخان ضار بالصحة والرسول ﷺ يقول : « لا ضرر ولا ضرار » وغير ذلك ثم يأتي الوالد ويطلب من ولده أن يشعل له لفافة من التبغ - سيجارة - فإن مثل هذه السلوك يجعل الولد يضطرب ، ويفقد الثقة فلا تكون التربية ناجحة معه مستقبلاً !!!